ماذا يجرى فى السودان؟!

لما تخلَّى رفعة على ماهر باشا عن الحكم وذهب إليه الكثيرون يبدون له شعورهم الطيب وتقديرهم لموقفه سمعوا منه ما دل على شدة تخوفه على مصير السودان لأنه كان مستشعرًا بأنَّ القوم يريدون إحداث حدث فيه وكان أمله وهو فى الوزارة خصوصًا بعد بيانه الوطنى المعروف أن يصفى الأمور مع الإنجليز فى أقصر وقت ممكن فيحول دون ما هو مبيت من فصل السودان نهائيًا عن الوادى.

ولما وليت وزارة دولة الهلالى باشا الحكم طالبت ببيانٍ شاملٍ فيه الاعتراف بمبدأ الجلاء وبموعده والاعتراف بالوحدة وحدوده.

ولكنَّ الإنجليز لا يريدون أن تحل القضية المصرية بأية صورة وما لهم يسهلون الحل ويعترفون بالأهداف القومية وهم فى مصر جاثمون على صدور المصريين وهم في السودان السادة المتصرفون.

وهكذا ظلَّت الأمور تسير فى تعثر إلى أن أطلقوا منذ أيام قليلة قنبلة مدوية فى السودان، فغضب ذلك دولة رئيس الوزراء ولكن الاجتماعات تنعقد ورئيس الوزراء لا يزال غاضبًا.

والوقت قد طال والأمور فى السودان تسير من سيئ إلى أسوأ، وهذا هو المستر إيدن وزير خارجية إنجلترا يصر على التمسك بدستور السودان، ذلك الدستور الذى جعل من الحاكم العام أميرًا له سلطات جاوزت سلطات كثير من الأمراء.

ولعلَّ موقف الإنجليز فى السودان جد غريب. إننا من جانبنا قد ألغينا اتفاقيتى الحكم الثنائى والمقرر أنَّ الإنجليز لم يسلموا بما فعلناه بدعوى أنه إجراء من

جانبٍ واحدٍ، فيكون الوضع – فى نظرهم على الأقل – أنَّ الحالة فى السودان لا تزال خاضعة من الناحية القانونية لاتفاقيتى الحكم الثنائى. فكيف سوغوا لأنفسهم وحدهم وهم يزعمون أنهم يريدون تصفية الأمور بيننا وبينهم أن يستقلوا بالأمر فيه دون الرجوع إلي الحكومة المصرية؟

ولعلَّ من أجرأ ما كتب ما نقلته البلاغ عن جريدة التيمس أمس، إذ تقول ما نصه:

«إنَّ الهدف الأساسى لمشروع الدستور الجديد هو إنشاء نظام يمكن بمقتضاه أن تضطلع برلمان من مجلسين يمثلان الرأى العام السودانى أتم تمثيل بواجبات الجمعية التشريعية فى تقرير ما إذا كانت البلاد تؤثران تكون مملكة أم جمهورية وما إذا كانت ستنضم إلي جامعة الأمم البريطانية (الكومنويلث) أم ستصبح مستقلة كليًا أم ستنضم إلى مصر تحت التاج المشترك».

وهذا كلام واضح يكشف عن نيات الإنجليز، وهو خطوة جريئة لا يمكن أن تتفق وهذه المحادثات التى تجرى بمصر، لأنها تحدٍ صريح لتلك المحادثات وفيها فصل للسودان قوة واقتدارًا وهى انفراد بالتصرف الكامل فى مصيره.

ألا فليذكر دولة رئيس الوزراء أنهم يداورون إلى أن ينتهى الأمر بإقرار ذلك الدستور الجديد كما هو أو معدلًا بصورة أو بأخرى وتصبح مصر أمام أمر واقع.

ولعلَّ من أغرب ما قيل وهو هزل فى وقت الجد أنَّ ما حصل فى السودان من عرض الدستور الجديد إنما وقع مصادفة ولم يكن مقصودًا.

إننا نخشى أن يكون دولة رئيس الوزراء قد بالغ فى إحسان الظن بالإنجليز.

ولو أنَّ دولته كاشف الأمة ولم يلتزم سياسة الصمت لعاونته بالرأى السديد ولكنه اعتمد على شيء واحد هو تصميمه على الحصول على بيان قبل الدخول فى أية مفاوضات. ولكنَّ الظروف بدأت تتحكم فى موقفه ولما يقدم «البيان المنتظر» أو البيان المطلوب، ولا يهتم الإنجليز أن ننتظر وننتظر طويلًا.

تلك طريقتهم من قديمٍ يتحدثون أو يفاوضون ليعرفوا كل ما عندنا ولنكشف عن كل أوراقنا ثم لا ينتهون إلى شيء. فعلوا هذا فى كل المحادثات والمفاوضات. فعلوا هذا مع وزارة الوفد فلما أيقنت من سوء نياتهم وملَّت من مداوراتهم قطعت الحبل وألغت المعاهدة والاتفاقيتين. وكم بذلوا من جهود ليحولوا دون ذلك القرار التاريخى فلم تلن وزارة الوفد.

والوساطة الأمريكية لا تظهر إلا عندما تتشدد مصر صاحبة الحق المسلوب. وفى غير ذلك لا تظهر هذه الوساطة.

لم لم تتدخل هذه الوساطة لتمنع الإنجليز من عرض الدستور الجديد فى السودان قبل أن يعرضوه؟

إنَّ أمريكا تظاهر حليفتها وما فى ذلك خفاء. إنها لا تستطيع أن تتخلى عن نظرية الدفاع عن الشرق الأوسط إنها إحدى الدول الأربع المعروفة ولعلَّ موقفها من مسألة تونس يكشف عن هذا التآمر العجيب ضد المبادئ العالمية السامية. إنَّ أمريكا العظيمة ستقرر الامتناع عن التصويت فى مسألة تونس المطروحة على مجلس الأمن فلحساب من هذا غير فرنسا تتخذ أمريكا هذا الموقف المنافى لمبادئ الشرق والإنسانية.

لقد سقت هذا المثل لكى لا يعول ساستنا على هذه الوساطات العرجاء، فكفانا سخرية بأنفسنا.

ويجب أن نعوِّل على أنفسنا. وأنفسنا وحدها. فلن تسلم لنا إنجلترا بمطالبنا ولن تعاوننا أمريكا ضد إنجلترا. إننا إن اعتقدنا غير هذا نكون هازلين.

ليس لمصر الآن إلا أن تعتمد على نفسها وحدها. والله نعم المولى ونعم المعين.